بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات المفهوم والممارسة

أ.فاطمة الزهراء صادق
جامعة سيدي بلعباس - الجزائر

Pendant ces dernières années le système éducatif a fait témoin d'un Mouvement de développement et de réforme éducative. Pour réexaminé les programmes scolaires avec leurs différents éléments, en trois étapes. Avec la nécessité de mettre en cause le rôle actif de l'apprenant, qui fait de lui l'élément actif du cadre éducatif. C'est la bonne formation et l'habilitation de l'environnement d'apprentissage qui stipule des méthodes pédagogiques de motivation approprié.

شهدت المنظومة التربوية حركة تطوير وإصلاح تربوي بدأت في السنوات الأخيرة، وأُعيد النظر في المناهج التربوية بعناصرها المختلفة، في أطوارها الثلاث، مع ضرورة التركيز على الدور النشط للمتعلم، يجعله العنصر الفعال في التدريس، وأن يُهيَأ المعلمُ بيئة التعلم المناسبة وما يلزم لذلك من مواقف تعليمية تحفيزية بأساليب بيداغوجية مناسبة.

سنحاول أن نسلط الضوء على مفهوم المقاربة بالكفاءات معالجتها في سياقها النظري الذي بنيت عليه كونها غدت منهجا للتعليم، وصولا إلى آلية التطبيق الفعلي لممارسة التدريس بالكفاءات، الوسائل البيداغوجية الخاصة بالتدريس بالكفاءات، والتقويم لهاته الطريقة البيداغوجية في العملية التعليمية.

تطورت أساليب التدريس مع التقدم الحاصل في النظرية التربوية، فبعد أن كانت عملية التعليم تركز على كيفية تنظيم مثيرات البيئة التعليمية الخارجية، أصبح الاهتمام بتهيئة المواقف التعليمية، ونتيجة للتطور المعرفي في العلوم بشكل عام وخاصة في الجوانب النظرية والتطبيقية فإن المحاولات الفردية لتحسين طرائق تدريسها لم تعد كافية، لذلك أصبحت الحاجة ملحة إلى تطوير طرائق تدريس حديثة.وفي هذا الصدد يشير خطابية إلى أن فلسفة التدريس الحديثة تقوم على ضرورة اعتماد المدرس على أكثر من طريقة تدريس، واستخدام الطرائق التدريسية التي يكو فيها الطالب محور العملية التعليمية، ويكون بدوره فاعلا فيها.[1]

ومن طرائق التدريس الحديثة التي تجعل من الطالب محور العملية التّعليمية التَّعلُّمية، وتساعد في معالجة الفروق الفردية بين الطلاب طريقة التدريس بفريق متعاون من المدرسين، حيث يتفاعل فريق من المدرسين مع بعضهم بعضا من جهة مع طلبتهم من جهة أخرى من أجل تفعيل الجهاز المفاهيمي.

إن المنظومة التربوية في بلادنا شهدت عدة تغييرات بدءا من تبني نظام التعليم الأساسي والذي أدخلت عليه إصلاحات جزئية، تمثلت في الاعتماد على المقاربة بالأهداف نسبة إلى الاتجاه السلوكي، ومن أبرز علمائه: بافلوف، وثورندايك وسكينر... تتلخص فكرتهم في التدريس على النحو الآتي:هو تدبير يقوم فيه المعلم بتحديد مؤثرات المواقف واستجاباتها و أنماط التعزيز التي ستحلق بهده الاستجابات بهدف زيادة احتمالية ظهور هذه الاستجابات ضمن رغبة المتعلم و ما يحقق أهدافه.[2]

في سنة 2001نادت الجزائر بالمقاربة بالكفاءات نسبة إلى الاتجاه المعرفي ومن علمائه: بياجيه، وبرونو...، والتعلم عندهم هو: "تهيئة مواقف يتفاعل فيها المتعلم بهدف تطوير خبرات تسهم في تطوير وإعادة البنى المعرفية، وتطوير استراتيجيات التفكير والعمليات الذهنية الموظفة في المواقف في المواقف الجديدة".[3]

بيد أن هذه المقاربة لم تطبق فعليا إلا في سنة 2003 للسنتين الأوليتين من التعليم الابتدائي والتعليم المتوسط شيئا فشيئا إلى أن عمت على كل المراحل (الابتدائي المتوسط، والثانوي) وبذلك خضع النظام التربوي إلى تغيير جذري تعلّق ببناء المناهـج وتأليف الكتب المدرسية، والهدف من ذلك أن "نتمكن من تنشئة جيل قادر على التكيف مع قيم الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، ويظل مرتبطا بهويته وتراثه، ومستعدا للدفاع عن الذات في ل المواقف ومهما كانت الظروف".[4]

إثر هذه التغييرات، نجد المعلم مجرد منفذ فقط، فما إن هضم المقاربة بالأهداف وألفها ثم تخلى عنها ليجد نفسه منفذا للمقاربة بالكفاءات، والتي لم تتضح معالمها في ذهنه لحد الساعة، والسبب في ذلك أنّه لم يتلق تكوينا خاصا بها إلا ما حصله في ندوة تربوية أو يوم دراسي، وهي ليست بالعدد الكافي، وهناك ما لم يحض حتى الآن بهذا التكوين.

أساسيات التدريس بالكفاءات:

الخلفية النظرية لمفهوم الكفاءة:

حددت معالمها و تبلور مفهومها الفعلي منذ البداية في مجال البحوث المرتبطة بعلم الشغل l'ergonomie، غير أن تطبيقاتها الناجحة برزت بالخصوص في مراكز التكوين المهني و التكنولوجي، خاصة بعدما أصبح مطلوبا من التعليم و التكوين أن يؤهل الأشخاص لاستثمار المعرفة في حياتهم المهنية، لأن الجانب المعرفي يعتبر مكونا أساسيا من مكونات العملية الإنتاجية، و من هذا المنظور استقطب مفهومها من بيئات مختلفة و رسخت في أذهان التربويين القائمين على تغيير الإصلاحات التربوية، ومحاولة تكييفها و المنهاج التربوي تبعا للفروقات الفردية لتوجيه برامجها نحو تحقيق تنمية الكفاءة، و رغم تباين الأنظمة التعليمية بين التمهين و التعليم ، هذا الفضاء التعليمي الذي يقوم بتنشئة أجيال يلتحقون به أولا المدرسة فهي السبيل الوحيد إلى أن يلتحقوا بسوق الشغل حسب الظروف عقب ذلك يجد المتعلم نفسه أمام تراكم معرفي و تدفق معلومات.

عرفت الكفاية بأنها:

"القدرة على عمل شيء أو إحداث نتائج محددة، وهي ليست موهبة، وإنّما هي قدرة يستطيع الفرد تنميتها.[5]

يرى جود Good: في الكفاية "القدرة على إنجاز النتائج المرغوبة مع الاقتصاد في الجهد والوقت والنّفقات".[6]

لا يقتضي الأمر هنا بخاصية أو ميزة يتصف بها المتعلم، بل هي مقاربة بيداغوجية جديدة، تهدف إلى تكييف مواقف تعليمية، تُغير العديد من جوانب تصوراتنا وممارساتنا التربوية.

في هذا الصدد، أشار «روجرز" إلى ثلاثة عناصر أو تحديات تبرز ظهور هذه المقاربة الجديدة:

- غزارة المعلومات وتكاثرها السريع مما يجعل الطرق البيداغوجية المبنية على نقل المعارف عميقة، وجامدة ومتجاوزة.
- الحاجة الملحة لتقديم تعلُّمات ذات معنى للتلاميذ وتجلب اهتماماتهم ولها ارتباط وثيق بالحاجات اليومية.

- محاربة الفشل الدراسي الذي يقلل من فعالية ومردودية المؤسسة التربوية.

و قد حدد سندر و دارمون(Sender ana drumimon) ست مراحل لاكتساب الكفاية و هي:[7]

- الوعي: ينمي الفرد وعيه للكفاية الخاصة به
- الإدراك: يدرك كيفية عمل هذه الكفاية
- تقويم الذات: تقويم الفرد لذاته في تقويم الكفاية
- التجربة: يجري التجارب لإيجاد الطريق للسلوك ألازم للكفاية
- الممارسة: يمارس هذه الكفاية بشكل أفضل
- تطبيقات العمل: يمارس هذه الكفاية لتحقيق متطلبات العمل.

بينما عرف برجيليP. Gilet: الكفاية بأنها نظام من المعارف التصورية والإجرائية على شكل تصاميم عملية والتي تسمح داخل مجموعة وضعيات متجانسة بتحديد المشكل وحَله بفضل نشاط ناجح (حسن الأداء).[8]

يركز هذا التعريف على أن الفرد يدمج بين المعارف النظرية والتطبيقية لتحديد المشكل وحله بنجاعة.

أساليب التدريس بالكفاءات:

التدريس بالكفايات:

التدريس بالكفايات هو عملية تربوية منظمة يعمل من خلالها المعلم على وضع التلميذ أمام جملة من الوضعيات، يوظف فيها المكتسبات القبلية التعليمة؛ مجموعة من الموارد (المعارف والقدرات والمهارات) لحل المشكل.

وعرفها الفتلاوي إجرائيا: على أنها "قدرات نعبر عنها بعبارات سلوكية تشمل مجموعة مهام (معرفية، مهارية، وجدانية) تكون الأداء النهائي المتوقع إنجازه بمستوى معين من ناحية الفاعلية، والتي يمكن ملاحظتها وتقويمها بوسائل الملاحظة المختلفة".[9]

يشير محمد الدريج إلى أن الكفاءات هي: قدرات مكتسبة تسمح بالسلوك والعمل في سياق معين، ويتكون محتواها من معارف ومهارات وقدرات واتجاهات مندمجة بشكل مركب، كما يقوم الفرد الذي اكتسبها بإثارتها وتوظيفها، قصد مواجهة موقف أو مشكلة ما وحلها في وضعية محددة.[10]

ويمكن أن نوضح العملية التعليمية التّعلُمية في الشكل الآتي:[11]

كونها عبارة عن نسق متفاعل من العناصر يشمل: الكفايات، المادة والطرائق والوسائل

والمدرس والمتعلم.

(الشكل الموالي)

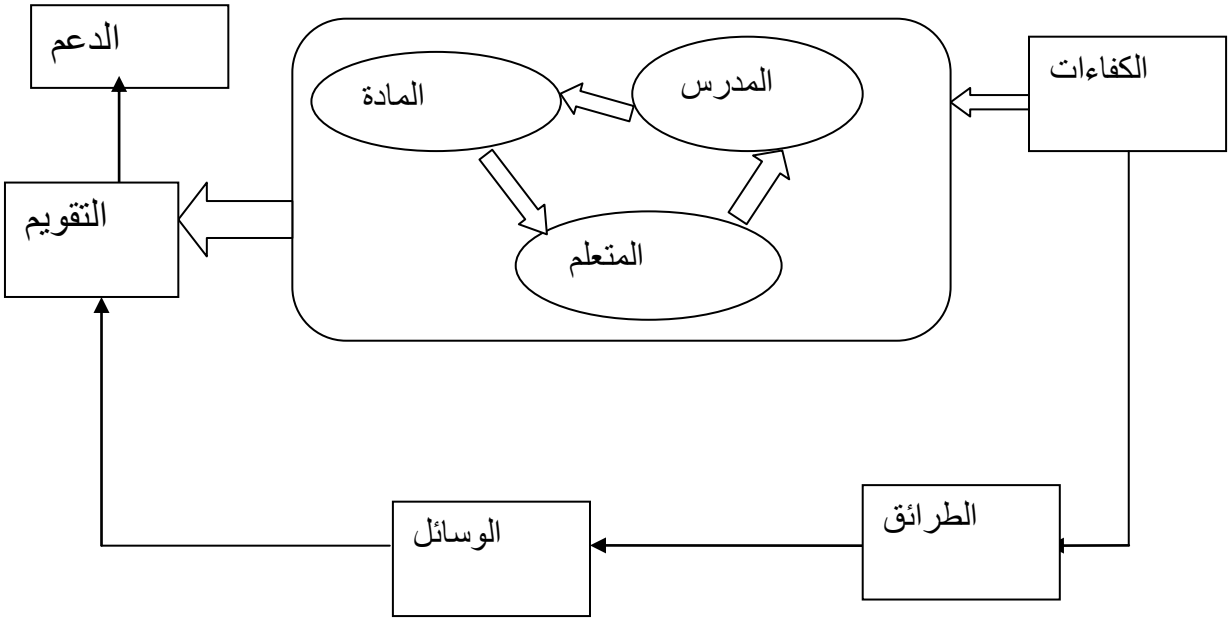

من خلال ما ورد من مفاهيم للكفاية والتدريس نستطيع أن نعرف التدريس بالكفايات كالآتي: هو عملية منظمة مقصودة وهادفة تسمح للمعلم بإكساب مجموعة المعارف والقدرات والمهارات الضرورية لإنجاز مهمة ما على أحسن وجه.

والتدريس في ضوء هاته المقاربة البنائية والمعرفية يحتاج إلى جهد مركز لتوجيه تلك العمليات العقلية ودعمها، والمسؤولية الأساسية تلقى على عاتق المدرسين بتنظيم الظروف الخارجية التي تساعد المتعلمين على تنشيط العقل وتخزين المعلومات وتنظيمها ثم استرجاعها عند الحاجة.

وسائل التدريس البيداغوجية:

ومع التأثير الشديد للتكنولوجيا وأجهزة الحاسوب، التي انصبت على سيرورة العملية التعليمية وعلى الطرائق والأساليب البيداغوجية التي غيرت النظرة إلى التعليم والتعلم، أصبح الطالب على حافة عصر يفرض تحديات جديدة، تتطلب تنمية مجموعة من المهارات والقدرات، فإن محاكاة المستقبل يتطلب التركيز على القدرات والمهارات التي تستطيع الآلات أن تقوم بها في مواجهة المشكلات الحياتية المتجددة، ويبدو واضحا أن هذه المهارات والقدرات سوف تشمل: القدرات الإبداعية والحدسية ذات التفكير البصري.

لكن ما يجعلنا نتساءل: هل مدارسنا اليوم مجهزة بهاته الوسائط التكنولوجية، هل باستطاعة كل متعلم الحصول عليها في بيته، هل من الممكن أن يترعرع كل متعلم في بيئة متعلمة راقية،يكتسب منذ طفولته المبكرة تصورات معرفية تنمي معارفه، فالمعرفة التي يكتسبها المتعلم، يمارس بدوره عملية ذهنية على كل ما تلقاه من المعلم، تجعله يمتلك قدرة ويعيد تنظيم مكتسباته بممارسة مهارة أو نشاط يدمج فيه كل تلقاه دونما تحكمه ظروف اجتماعية أو نفسية، التي من شأنها تحقيق التفاعل مع الموقف التعليمي مع مراعاة مبدأ تكافئ الفرص، هذا هو التصور الذي نادى به النموذج التربوي البنائي.

يبدو أن المنهاج يتقاطع مع التعليم عند التخطيط للمنهاج خلال الممارسة التعليمية، ويصبح المعلم بقدراته ومعارفه الركيزة الأساسية في عملية بناء هذا المنهاج، لكن لا بد وأن يتعرف المعلم على مفاهيم المنهاج ومكوناته والأسس المختلفة التي ينبني عليها، وذلك لتتكامل تلك المعارف مع معرفة المعلم بالمادة التعليمية وطرائق تدريسه في بناء منهاج تعليمي ما.

تتطور البنى المعرفية وتزداد بالتفاعل مع المواقف التي تهيئ المتعلم معالجة العمليات الذهنية وهي: الانتباه والإدراك والتفكير والاستبصار والترميز والتنظيم والتصنيف والتعرف.

- لكل متعلم أسلوبه وسرعته في إعادة بناء أبنيته المعرفية وتنظيمها.

الفروق بين الطلاب ترجع إلى العمليات الذهنية المستخدمة في المواقف التي يواجهونها وإلى الطرق المعالجة التي يوظفونها في مواقف التعلم.

بيداغوجيا الإدماج: الوضعية المشكل

الوضعية: «هي مجموعة من الظروف التي يوجد فيها الفرد، وتفرد عليه إقامة علاقات جديدة ومضبوطة، مجردة وملموسة مع الجماعة والبيئة التي يعيشها فيها"[12]، ومنها **الوضعيات التعليمية:** هي كل "مشكلة مثل تحديا بالنسبة للمتعلم وتمكنه من الدخول في سيرورة تعليمية نشيطة وبناءة واستقبال معلومات وإيجاد قواعد للحل منتظمة ومعقولة تسمو بالمتعلم إلى مستوى معرفي أفضل".[1]

لا يسعى القول إلى إن الوضعية الإدماجة ما هي إلا نشاطات تعليمية، عادة ما تقوم على سلسلة من الإجراءات على نحو يكفل تحقيق الأهداف التعليمية المحددة للبرنامج، حيث إن هناك ارتباطًا عضويًا بين النشاطات التعليمية والأهداف، ولتنفيذ البرنامج لابد للمعلم من تحديد أشكل مختلفة من هذه النشاطات مسبقًا والتي تنقسم إلى:

- **نشاطات قبلية:** وهي التي تسبق تنفيذ البرنامج وذلك بقصد الإعداد والتهيئة، حيث يوجه المعلم تلاميذه لبعض الخطوات كإعداد أجهزة وأدوات...الخ
- **نشاطات مصاحبة:** وهي التي تصاحب تنفيذ البرنامج، بهدف تحقيق الكفايات وتدريس المعلمين عليها، ويفترض من المعلم القيام بسلوكيات نموذجية مطابقة لما تتطلب الأهداف.
- **النشاطات البعدية:**وهي التي تنفذ بعد تنفيذ البرنامج، ويقصد بها النشاط التكميلي.[13]

التقويم للمقاربة بالكفاءات في المدرسة الجزائرية:

اقتصرت تجربة المقاربة بالكفاءات في المدرسة الجزائرية على مناهج تخطيطية في تدريس الكفاءات، التي اتخذت دورا أساسيا لتدريس جميع المواد بيد أن هاته المقاربة البنيوية تعترضها أسباب جمة، على الرغم من إيجابياتها لو طبقت حسبا لجهازها المفاهيم النظري، تتجلى في ضعف التكوين البيداغوجي لدى المعلم فإنهم يحتاجون إلى تكوين في بيداغوجيا التدريس بالكفاءات، كما تعد الوسائل في المدارس مشكلة تربوية أثرت سلبا على عملية التدريس و لاسيما بعد التطور التكنولوجي في مجال المعلومات و فضاء الاتصال الإعلامي، ومن المشاكل التي طرحها المعلم عند ممارسته لهاته

المقاربة مسألة الفروق الفردية، لأنه من المعلوم أنه لتطبيق تدريس الكفاءات داخل فضاء تعليمي مكون من مجموعة من التلاميذ متفاوتي الذكـاء والقـدرات والاستعدادات، و منحدرين من أوساط اجتماعية مختلفة ،ينبغي أن يراعى تعليمهم عل مبدأ تكافؤ الفرص.

الهوامش:

1بشير خطايبة:تعليم العلوم للجميع، دار المسيرة للنشر، عمان، الأردن، ص15.

2 يوسف قطامي ونايفة قطامي : نماذج التدريس الصفي دار الشروق، عمان، الأردن، ط1998،1،ص38

[3] المرجع نفسه .40

[4] بوبكر خيشان وآخرون: اللغة العربية، السنة الأولى من التعليم الابتدائي–دليل المعلم، الجزائر، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، ط2004،2، ص3.

[5]يوسف قطامي ونايفة قطامي، سيكولوجيةالتدريس دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان–الأردن ،2001، ص 554.

6 سهيلة محسن كاظم الفتلاوي،كفايات التدريس (المفهوم،التدريب،الأداء) دار الشروق للنشر

والتوزيع،ط1 ،2003،ص 286

7–يوسف قطامي و آخرون: تصميمالتدريس دار الفكر للنشر والتوزيع،ط1،عمان – الأردن،2000، ص 937.

8غزلان توازن : المقاربة بالكفاءات موعدك التربوي، تر : مريم روابح، و آخرون، العدد5، 2000، ص 10

9الفتلاوي سهيلة: الكفاياتالتدريسية–المفهوم،التدريب، الأداء،دار الشروق، مصر، ص .929

[1]0 محمد الدريج : كفايات المشرف التربوي (نحو تأسيس نموذج الإشراف بالكفايات)، مقال منشور بموقع مجلة المدرس الالكترونية، يوم 18 جولية 2009، مرفوع يوم http://www.almoudaris.com/articles

11 علي آيتا وشان: اللسانيات و الديالكتيك،دار الثقافة للنشر و التوزيع،الدار البيضاء،ط1 ،2005،ص 28.

12عبد الرحمن الدومي:الكفايات «مقاربة نسقية" ،دار الهلال جدة السعودية، ط3، 2004،السعودية، ص 51

---

[1] بشير خطايبة:تعليم العلوم للجميع، دار المسيرة للنشر، عمان، الأردن، ص15.

[2] يوسف قطامي و نايفة قطامي: نماذج التدريس الصفي دار الشروق، عمان، الأردن، ط1998،1،ص38.

[3] المرجع نفسه 40.

[4] بوبكر خيشان وآخرون: اللغة العربية،السنة الأولى من التعليم الابتدائي–دليل المعلم، الجزائر، الديوان الوطنيللمطبوعات المدرسية، ط2004،2، ص3.

[5]، سيكولوجيةالتدريس دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان–الأردن ،2001، ص 554. يوسف قطامي ونايفة قطامي

[6] سهيلة محسن كاظم الفتلاوي،كفايات التدريس (المفهوم،التدريب،الأداء) دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1 ،2003، ص 28.

[7] يوسف قطامي و آخرون:تصميم التدريس،دار الفكر للنشر و التوزيع،ط1،عمان – الأردن،2000، ص 937.

غزلان توازن: المقاربة بالكفاءات موعدك التربوي، تر:مريم روابح، و آخرون، العدد5، 2000، ص 10[8]

الفتلاوي سهيلة:الكفايات التدريسية– المفهوم،التدريب، الأداء،دار الشروق، مصر، ص 29.[9]

[10] محمد الدريج : كفايات المشرف التربوي (نحو تأسيس نموذج الإشراف بالكفايات)، مقال منشور بموقع مجلة المدرس الالكترونية، يوم 18 جولية 2009، مرفوع يوم http://www.almoudaris.com/articles

[11] علي آيتا وشان:اللسانيات و الديداكتيك،دار الثقافة للنشر و التوزيع،الدار البيضاء،ط1 ،2005،ص 28.

[12]عبد الرحمن الدومي:الكفايات"مقاربة نسقية" ،دار الهلال جدة السعودية، ط3، 2004،السعودية، ص 51.

[13] ينظر:فاروق: اتجاهات الكفايات والدور المستقبلي في الوطن العرب، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد 14، ص 229.